وامن جزم واستعير له لفظ القضاء وقيل انه كلمح البصر ففاضت بحار المقادير بحكم ذلك القضاء
الجزم بما سبق به التقدير فاستعير لترتيب آحاد المقدورات بعضها على بعض لفظ القدر فكان لفظ
القضاء بازاء الامر الواحد الكلي ولفظ القدر بازاء التفصيل المتمادي الى غير نهاية وقيل ان شيئا
من ذلك ليس خارجا عن القضاء والقدر فخطر لبعض العباد ان القسمة لماذا اقتضت هذا
التفصيل وكيف انتظم العدل مع هذا التفاوت والتفضيل وكان بعضهم لقصوره لا يطيق
ملاحظة كنه هذا الامر والاحتواء على مجامعه فالجموا عما لم يطيقوا خوض غمرته بلجام المنع وقيل
لهم اسكتوا فما لهذا خلقتم لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وامتلاء مشكوة بعضهم نورا مقتبسا من نور
الله في السموات والارض وكان زيتها اولا صافيا يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار فمسته نار فاشتعل
نورا على نور فاشرقت الملكوت بين ايديهم بنور ربها فادركوا الامور كما هي عليه فقيل لهم تادبوا
بادب الله واسكتوا واذا ذكر القدر فامسكوا فان للجدران اذانا وحوالكم ضعفاء الابصار فسيروا
بسير اضعفكم ولا تكشفوا حجاب الشمس لابصار الخفافيش فيكون ذلك سبب هلاككم فتخلقوا باخلاق الله
وانزلوا الى السماء الدنيا من منتهى علوكم ليانس بكم الضعفاء ويقتبسوا من بقايا انواركم المشرقة
من وراء حجابكم كما يقتبس الخفافيش من بقايا نور الشمس والكواكب في جنح الليل فيحيى به حيوة يحتملها
شخصه وحاله وان كان لا يحيى به حيوة المترددين في كمال نور الشمس وكونوا كمن قيل فيهم
شربنا شرابا طيبا عند طيب كذاك شراب الطيبين يطيب شربنا واهرقنا على الارض فضله
وللارض من كاس الكرام نصيب فهكذا كان اول الامر وآخره ولا تفهمه الا اذا كنت اهلا له
واذا كنت اهلا له فتحت العين وابصرت فلا تحتاج الى قائد يقودك والاعمى يمكن ان يقاد
ولكن الى حد ما فاذا ضاق الطريق وصار احد من السيف وادق من الشعر قدر الطائر على ان
يطير عليه ولم يقدر على ان يستجر وراءه اعمى واذا دق المجال ولطف لطف الماء مثلا ولم يمكن العبور
الا بالسباحة فان يعبر بنفسه وربما لم يقدر على ان يستجر وراءه اعمى فهذه امور نسبة السير عليها
الى السير على ما هو مجال جماهير الخلق كنسبة المشي على الماء الى المشي على الارض والسباحة يمكن

ان يتعلم

ان يتعلم فاما المشي على الماء فلا يكتسب بالتعلم بل ينال بقوة اليقين ولذلك قيل للنبي صلى الله عليه وسلم
ان عيسى عليه السلام يقال انه مشى على الماء فقال لو ازداد يقينا لمشى على الهواء فهذه رموز واشارات
الى معنى الكراهة والمحبة والرضى والغضب والشكر والكفران لا يليق بعلم المعاملة اكثر منه وقد
ضرب الله مثلا لذلك تقريبا الى افهام الخلق اذ عرف انه ما خلق الجن والانس الا ليعبدون فكانت
عبادتهم غاية الحكمة في حقهم ثم اخبر ان له عبدين يحب احدهما واسمه جبرئيل والروح القدس والامين وهو عنده
محبوب مطاع مكين ويبغض الآخر واسمه ابليس وهو اللعين المنظر الى يوم الدين ثم احال الارشاد الى جبرئيل
فقال قل نزله روح القدس من ربك بالحق وقال يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده واحال
الاغواء على ابليس فقال ليضلهم عن سبيله والاغواء هو استيقاف للعباد دون بلوغ غاية الحكمة فانظر
كيف نسبه الى العبد الذي غضب عليه والارشاد سياقة لهم الى الغاية فانظر كيف نسبه الى العبد
الذي احبه وعندكم في العادة لها مثال فالملك اذا كان يحتاج الى من يسقيه الشراب والى من يحجمه
فناء دار عن القاذورات وكان له عبدان ولا يعين للحجامة الا اقبحهما واخسهما ولا يفوض حمل الشراب
الطيب الا الى احسنهما واكملهما واحبهما اليه ولا ينبغي ان يقول هذا فعلي فلم يكون فعله على ذوق فعلي فانك
اخطات اذا اضفت ذلك الى نفسك بل هو الذي صرف داعيتك لتخصيص الفعل المكروه بالشخص المكروه
والفعل المحبوب بالشخص المحبوب تماما للعدل فان عدله تارة يتم فيك فانك ايضا من افعاله فداعيتك وقدرتك وعلمك وسائر
اسباب حركتك في التعيين هو فعله الذي رتبه بالفعل ترتيبا يصدر عنه الافعال المعتدلة الا انك لا ترى
الا نفسك فتظن ان ما يظهر عليك في عالم الشهادة ليس له سبب من عالم الغيب والملكوت فلذلك تضيفه الى نفسك
وانما انت مثل الصبي الذي ينظر ليلا الى لعبة المشعبذ الذي يخرج صورا من وراء حجاب ترقص وتزعق وتقوم
وتقعد وهي مؤلفة من خرق ولا تتحرك بانفسها انما يحركها خيوط شعرية دقيقة لا تظهر في ظلام الليل ورأسها
في يد المشعبذ وهو محتجب عن ابصار الصبيان فيفرحون ويتعجبون لظنهم ان تلك الخرق ترقص وتلعب وتقوم وتقعد
واما العقلاء فانهم يعلمون ان ذلك تحريك وليس بتحرك ولكنهم ربما لا يعلمون تفصيله والذي يعلم بعض تفصيله والذي
لا يعلمها كما يعلمه المشعبذ الذي الامر اليه والجاذبة بيده فكذلك صبيان اهل الدنيا والخلق كلهم صبيان الا العلماء

Copyright © King Saud University